

ركن المعتزلة :

قدرة الله في مذهب المعتزلة

للدكتور أليير نصري نادر

ردت المعتزلة جميع صفات الله إلى ذاته . فإذا تحدثوا عن قدرته تعالى ، فهم ينظرون إليها كأنها وجه آخر من أوجه الذات يبحثونها على زعم أنها اعتبار ذهني ليس إلا وغير موجودة حقيقة في الذات .

ما يقرر الله عليه :

كما أن علم الله يشمل كل شيء ، كذلك قدرته تعالى متبسطة على كل شيء . — وتميز المعتزلة بين قدرة الله وما يقدر الله عليه ؛ ويقول أبو الهذيل في هذا الصدد : إن لما يقدر الله عليه غاية ونهاية في العلم به والقدرة عليه والإحصاء له ، ليس يخفى على الله منه شيء ، ولا يميزه شيء منه ^(١) . ومن أدلته على ذلك قوله تعالى : (إن الله على كل شيء قدير) ^(٢) . (وبكل شيء عليم) ^(٣) . (وأحصى كل شيء عددا) ^(٤) .

كما أنه لا شيء يثيب عن عليه تعالى . كذلك لا شيء يخرج من قدرته تعالى ؛ ولولم يكن الأمر كذلك لكانت قدرة الله عاجزة ستينة ، وعليه تكون ذاته ناقصة ؛ وفي هذا تناقض لأن الله وقدرته تعالى هما ذاته .

وحين يقول أبو الهذيل ومنه المعتزلة أجمع : إن الله على كل شيء قدير ، هل يعني هذا القول أن قدرته تعالى لا يمكنها أن تتعدى حدود ما قدر عليه وأنها تحققت كلها فيها قدرت . عليه كما أن علمه يشمل كل العلوم ولا يمكنه أن يتعداه ؟ وبمعنى آخر هل لقدرة الله حد ؟ هو هذا الصائل المخلوق ؟ ولو اتبسطت على ما ليس متحققا أو ممكنا لكانت قدرة بدون مقدور ؟

(١) الخياط : كتاب الانتصار ص ٩

(٢) النحل ١٦ - ٢٦ ، والبرق ٢ - ٢٠

(٣) البرق ٢ - ٢٨

(٤) الجن ٧٢ - ٢٨

يمسكي ابن حزم عن أبي الهذيل بهذا الخصوص قائلا : وقال أبو الهذيل بن مكحول السلاف إن لما يقدر الله عليه آخر ولقدرته نهاية لو خرج إلى الفعل لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء أصلا ولا على خلق ذرة فاقفوها ولا إحياء بموضة ميتة ولا على تحريك ورقة فاقفوها ولا على أن يفعل شيئا أصلا ^(١) .

ويقول ابن حزم في مكان آخر : وكان على الأسواري البصري أحد شيوخ المعتزلة يقول إن الله عز وجل لا يقدر على غير ما فعل ^(٢) . إن هذين القولين اللذين يذكرهما ابن حزم لا يطيان فكرة صحيحة عن قول أبي الهذيل والأسواري ولا عن قول المعتزلة فيما يختص بقدرة الله . ويكتفينا أن نرجع إلى تعريف المعتزلة لقدرة الله لنندرك أن في مفاهيم القدرة هي القات وأنها غير متناهية . وإذا بدت لنا هذه القدرة بواسطة بعض الأشياء المتحققة فالمعتزلة لا يستتبعون من ذلك أن قدرته تعالى محدودة بهذه الأشياء لأنه زيادة على ما تحقق من الأشياء توجد أشياء ممكنة وغير متناهية في العدد تحقق في الزمان أو خارجا عنه ، ولكنها لا تخرج عن قدرته تعالى لأن هذه القدرة لا متناهية كالكلمات . فلي ذلك إذا كان ما تحقق وما يتحقق من الأشياء محدودا في العدد والكم والاباض فإن هذا شيء لا يبنى أن قدرة الله تقف وتنتهي عند هذا الحد لأنها غير متناهية .

تنجيب المعتزلة للمذهب المألوف Pantheisme :

كما أنه لا يوجد عالم بدون معلوم ولا قادر بدون مقدور عليه ، كذلك توجد موازنة بين الله والعالم . فمن جهة نرى علما وقدرة غير متناهيين ولهما موضوع ؛ ومن جهة أخرى نرى موضوعا لامتناهيا وأزليا نوعا ما ، لأنه يقابل فاعلا متعليا كاهن الصفتين : صفة العلم وصفة القدرة التبر متناهيين ؛ ألا وهو الله الذي هو في مذهب المعتزلة كله علم وقدرة .

فيكتفينا أن ندمج فكرة الله هذه (وهو الفاعل) في العالم (وهو الموضوع أعني موضوع العلم والقدرة) حتى نشع إلى المذهب المألوف وهو خليط الله وإدماجه في العالم . ولكن المعتزلة تميز دائما بين ماهية الفاعل وماهية الموضوع ، وهذا ما أدى بهم

(١) ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ١٤٦

(٢) للمصنف ص ١٥٠

هل الله مكلف بفعل الأصلاح ؟

تقول المئزلة : أن الله مكلف بفعل الأصلاح . وهذا القول نتيجة منطقية لأبهم في ماعية الله اللامتناهية والكاملة إذ أنهم يردون إليها العلم والقدرة . ولما كان الله كاملاً فلا يمكنه أن يقف عند ما هو غير كامل وإلا أصبح هو تعالى أيضاً غير كامل . وعلى هذا القول بنت المئزلة رأيها في التفاؤل . ويقول النظام والجاحظ والأسواري والكسبي إن الله لا يوصف بالقدرة على ترك الأصلاح من الأنفال إلى ما أسس بأصلاح^(١) ونحن لا نضج من رأى المئزلة هذا لأن الله وهو كل الكمال لا يزم على خير ثم يميل إلى خير آخر أسى من الأول كأنه تعالى يتدرج في مهاب الكمال . فإذا كان الأمر كذلك لم يسد الله كلى الكمال ؛ إذ أن في هذا الخير الأسى الذى مال إليه الله تعالى بعد تركه الخير الأول يوجد كمال كان ينقص الأول وهذا الكمال كان سيئاً في تحرك الله من درجة في الكمال إلى أخرى أسى منها . وهذا التحرك دليل على النقص والنقص برهان على عدم الكمال . وبناء على ذلك يمكننا أن ندرك بسهولة لماذا كان أبو القاسم الكسبي المئزلى يقول بإيجاب الأصلاح للمبد وأن الإيجاب على الله تعالى محال لاستحالة موجب فوفه بوجب عليه شيئاً^(٢) .

التفاؤل غير المئزلة Optimisme :

يقوه ابن حزم بهذا التفاؤل عند المئزلة حين يقول : وقالت المئزلة كلها إن الله عز وجل ليس في قوته أحسن مما فعل بنا وأن هذا الذى فعل هو متعنى طاقته وآخر قوته التى لا يمكنه ولا يقدر على أكثر^(٣) . ويخالف النظام من هذه المفيدة الراسخة عند المئزلة دقاً قوياً حيث يقول : إن الله لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم ، ولا يقدر على أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة لأن نعيمهم صلاح لهم والنقصان مما فيه صلاح ظلم ؛ ولا يقدر أن يزيد في هذاب أهل النار ذرة ولا على أن ينقص من

إلى التكلم في المدم واعتباره شيئاً متميزاً تماماً عن ماعية الله . والمدم في مذهبهم هو مادة العالم التى ينقصها الوجود والله يمنع هذه المادة الوجود ليكون العالم المخلوق .

المعروف بين علم الله وقدرته تعالى :

قالت المئزلة إن علم الله هو هو ، وإن قدرته هي هو ؛ فبلى ذلك تكون القدرات هي العلم والقدرة فإذا علمه وقدرته تعالى مختلفان تمام الاختلاف عن العلم والقدرة عندنا لأنه كثيراً ما يقوم الخلاف بين العقل وهو عندنا ملكة المعرفة ، وبين الإرادة وهي عندنا ملكة التنفيذ والعمل . وكما من الأحيان ندرك الشيء الحسن ونعجزه ولكننا بالرغم من ذلك نتفعل العمل السيئ - لكن في الله العلم هو القدرة والقدرة هي العلم ؛ لذلك نجد علياً الأسواري المئزلى يشدد بحق على العلاقة بين علم الله وقدرته إذ يقول : إن من علم الله أنه سيموت ابن آدم ابن ثمانين سنة ، فإن الله لا يقدر على أن يميت قبل ذلك ، ولا أن يقيه طرفة عين بعد ذلك . وإن من علم الله من مرضه يوم الخميس مع الزوال مثلاً فإن الله تعالى لا يقدر على أن يورثه قبل ذلك لا بما قرب ولا بما بؤد ، ولا على أن يزيد في مرضه طرفة عين فافوقها^(٤) .

يدحض ابن حزم كل البعثة من هذا القول في حين أن المئزلة تجده قولاً صحيحاً سقوا منطقياً لأنهم يردون جميع الصفات إلى القات : فعلم الله هو ذاته كما أن قدرته هي ذاته ، فإعلمه الله فهو قادر عليه ولا يجوز خلاف ذلك ، وما يقدر عليه فهو يعلمه ، ولا يجوز خلاف ذلك في مذهبهم - فهم لا ينظرون إليه تعالى كما نحن ننظر إلى الإنسان الذى يشكر ويسلم ويقرر ثم لا ينفذ أو ينفذ خلاف ما قرر . لا . لأن علم الله هو قدرته . وليس هناك أى مشابهة بين الله تعالى والإنسان . ذلك نجد أكثر مؤرخى الملل يدعشون لأقوال المئزلة التى تبدو لهم غريبة ؛ ولكن عند ما ندرك أسل مذهبهم وهو رد جميع الصفات إلى القات نفهم بسهولة هذه الأقوال ونجدها نتيجة منطقية للأصل الذى بنوا عليه مذهبهم .

(١) الأخرى : مقالات الإسلاميين ص ٥٥ .

البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٦٧ .

(٢) الأسرأتين : النعيم في الدين ص ٥٢ .

(٣) ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ١١٦ .

(٤) ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ١٥٠ .

تغييرها أو تحريفها . فلي الإنسان يتحمل بصبر وسكوت المصائب والشدائد والآلام إذ لا يمكنه أن يغير مجرى الأمور وسفها . ولكن شتان ما بين رأى الرواقين ورأى المعتزلة من فرق في التناؤل . إن هؤلاء يرون فيما ندعيه شراً سبيلاً خيراً كبير وأهم . فلا يمكننا أن نشاطر المعتزلة هوروقتر رأيه هذا القائل أن المعتزلة قد تأثرت بالرواقين ، لأن المعتزلة لا تنظر إلى الألم في حد ذاته ، بل ترى فيه سبيلاً للخير .

ويقول البغدادي من جانبه إن النظام تأثر بالمثالية القائلين إن الله إله الخير لا يمكنه أن يفعل إلا الخير ولا يمكنه أن يفعل الشر ، لأن الشر لا يصدر إلا عن إله الشر . ولكن النظام ردّ عل المثالية قولها بالاثنتين (إله الخير وإله الشر)^(١) .

فتكون المعتزلة قد بحثت أقوال قدماء الفلاسفة وأقوال المثالية واستخلصت منها قولاً يتفق وكال الله تعالى . وجاء قولها متفقاً أيضاً وفكرة المسيحيين في الألم كطريق لخير أعظم .

السير نصري نادر

دكتور في الآداب والفلسفة

(١) الحياطة : كتاب الانتصار من ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٥ ،

و ٤٨ ، ٤٩

عذابهم شيئاً^(٢) . ثم زاد على هذا بأن قال إن الله لا يقدر أن يصير بصيراً أو يزن مسيحياً أو يفقر غنياً إذا علم أن البصر والصحة والنفى أصلح لهم ، ولذلك لا يقدر أن يفتي فقيراً أو يصحح زمناً إذا علم أن المرض والزمانة والفقير أصلح لهم^(٣) .

فإذا كل ما يحصل في الدنيا وفي الآخرة هو أصح ما يمكن للعباد . وهذه نتيجة منطقية لثني جميع الصفات عن الله وردها إلى الذات . والذات غاية الكمال لا يترسخها أي عجز أو نقص ؛ لذلك يلزم أن يكون ما نعمله كاملاً .

لكن الإنسان وهو محدود في عقله يتساءل أحياناً أي خير يوجد في بعض الأمور والحوادث التي لا يرى فيها سوى النقص والسعير والآفات . إن المعتزلة لا تحكم على الأشياء بميزاتها ، وإنما تنظر إلى العالم بأسره وتبدي حكمها عليه بأكمله . وبذهبون إلى القول بأن الصنية كاملة لأن الصانع كامل . فأيبدو لنا كأنه عجز أو نقص أو آفة ، فكل ذلك يسام في خير الدنيا العام ، ويصبح خيراً وسلاحاً .

هل يعني هذا القول أن المعتزلة كانت تميل إلى صبر رواق على الآلام والشدائد أم إلى صبر كبير المسيحيين الذين يرون في الألم طريقاً لكسب خير أعظم ؟ لا يمكن الرد على هذا السؤال إلا بعد البحث في مصدر فكرة التناؤل عند المعتزلة .

مصدر فكرة التناؤل :

بالرغم من أن النظام هو أول معتزلي تكلم بوضوح في التناؤل يقول الشهرستاني إن النظام أخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة حيث تضمنوا بأن الجواهر لا يجوز أن يدخر شيئاً لا يفعله فإبدعه وأوجده هو القدر ، ولو كان في علمه ومقدوره ما هو أحسن وأكمل مما أبدعه نظاماً وتوتيباً وصلاحاً لفعل^(٤) . ويرى هوروقتر أن النظام قد تأثر بفلسفة الرواقين القائلين بأن الشر والخير يتبعهما حتماً عقاب أو جزاء ، وذلك حسب قوانين ثابتة لا يمكن

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق من ١١٥

الحياطة : كتاب الانتصار من ١٧ و ٢٣

الشهرستاني : الملل ج ١ من ٦١

(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق من ١١٥

(٣) الشهرستاني : الملل على هامش ابن حزم ج ١ من ٦١

إدارة البلديات العامة — مياه

تقيل المطامات بإدارة البلديات العامة
(بوسنة قصر الدوايرة) لنهاية ظهر يوم
١٩٤٩/١١/١٦ عن عملية دهان صهرجج
مياه السبلالون .

وتطلب الشروط والوصفات من
الادارة على ورقة تحفة ثثة الثلاثين ملية
مقابل دفع مبلغ ٥٠٠ ملية خلاف أجرة
البريد . وكل عطاء غير مصحوب بتأمين
ابتدائي قدره ٢٠٪ لا يلتفت إليه .

٣١٩٥